أصدقاء لغتنا

قريباً من لغة العرب وعلومهم

ماريان بابو

تقف هذه الزاوية عند مترجمي الأدب العربي إلى مختلف اللغات، ما هي مشاغلهم وأسئلتهم وحكاية صداقتهم مع اللغة العربية؟ «عندما تكون مستعرباً وغير ناطق بالعربية، فإنّ تقضي حياتك في تعلّم هذه اللغة»، تقول المترجمة الفرنسية لـ«العربي الجديد»

باريس ـ **العربي الجديد**

■ متى وكيف بدأت علاقتك باللغة العربية؟

لا أعرف حقّاً كيف أشرح لنفسي بدايات هذه العلاقة، لكنّ جزءاً من الإجابة يعود إلى طفولتي، التي قضيتها في مدينة روبيه، شمالي فرنسا. في الحيّ وفي المدرسة، كانت صديقات طفولتي، في الغالب، من عائلاتٍ غادرت الجزائر في السبعينيات. قضيت الكثير من الوقت في منازلهنّ، وكان الكبار يتحدّثون فيها بالعربية وبالقبائلية. أعتقد أن هذه التجربة العلائقية والعاطفية، المباشرة للغاية (كما هو الحال عادةً في الطفولة، حيث تكون العلاقات عميقةً وطويلة الأمد) قد خلقت عندي رابطاً عميقاً بما يكفي مع هذه اللغة، من دون أن تكون عندي، حينها، أيّة فكرة عن هذا الأمر. بعد ذلك بوقت طويل، في أثناء دراستي العلوم السياسية، اخترتُ، من بين المواد المقترحة في الجامعة، دراسة اللغة العربية الفصحى، تماماً كما فعلت في وقت سابق مع اليونانية القديمة: خيارٌ أعمى في مساري الدراسي المتناثر، بدايةً حياتي كشابّة. لن أتعلّم العربية بشكل جدّي إلّا في وقت لاحق، عندما سالتحق بـ«معهد اللغات والحضارات الشرقية» في باريس.

■ ما أول كتاب ترجمتِه وكيف جرى تلقّيه؟

في سياق الضرورة التي خلقها اندلاع الثورة في سورية، وجدتُ نفسي أترجم لأوّل مرّة نصوصاً من العربية إلى الفرنسية. كانت تلك ترجمات «مدفوعة»، كما يُقال، أكثر منها ترجمات احترافية. ربيع عام 2011، كنت أعيش في سورية وأدرّس الفرنسية في دمشق. وخلال لقاء مع مسؤول القسم الثقافي في السفارة الفرنسية، أخبرته أنني درست اللغة العربية والترجمة، كانوا بحاجة ماسّة إلى مترجمين إضافيين، في ظلّ كثافة الأخبار اليومية ووفرة الكتابات التي انتجتها الثورة. هكذا أصبحتُ مترجمة تتلمّس طريقها، في ذلك الوقت، ليلاً نهاراً، لفهم ونقل كتابات عدد كبير من المفكّرين والمحلّلين والصحافيين المعارضين الذين بات في إمكانهم الكلام والتعبير.

■ ما آخر إصداراتك المترجَمة من العربية، وما إصدارك القادم؟

آخر إصدار ترجمته هو «في الإجابة عن سؤال: ما السلفية؟» لعزمي بشارة. وصدر قبل ذلك، في الصيف الماضي، وكتاب «الشرق صوتاً: موسيقات منسية، موسيقات حيّة» الذي شاركت في ترجمته. وقد انتهيت أخيراً من ترجمة مجموعة من النصوص عن الحضور العربي في إسطنبول، وهو مشروع يشرف عليه الباحث فرانك ميرميه. أمّا حالياً، فأعمل على ترجمة عمل جماعي، من تحرير نبراس شحيّد، حول التمثّلات الفنّية للجسد في سورية.

■ ما العقبات التي تواجهك كمترجمة من اللغة العربية؟

يمكنني القول إن العقبات الرئيسية تنتظم في شقّين. يتعلّق الأول بمحدوديّة معرفتي باللهجات العربية: فعندما أترجم أعمالاً سمعية وبصرية أو كتبَ رسوم مصوّرة، على سبيل المثال ـ وهي أعمال تلجأ إلى اللهجات المحلية ـ أواجه بشكل مستمرّ صعوبةً في فهم هذه اللهجات، ولا سيّما تلك المحكيّة في المغرب العربي. مهما قلنا، لن نستطيع التعبير بما يكفي عن هذه الحقيقة: عندما يكون المرء مستعرباً وليس من الناطقين بالعربية، فإنه يقضي حياته في تعلّم هذه اللغة. أمّا العائق الثاني، فيتعلّق أكثر بأحوال النشر، بشكل عام، في العالم العربي. في نقاشاتي مع عدد من الزملاء المترجمين، غالباً ما تحضر الصعوبات التي نواجهها أمام نصوص ممتعة، بالتأكيد، لكنها لم تمرّ بمرحلة من «الفلترة» والتدقيق المنهجيّ، كتلك التي يفرضها الناشرون هنا في فرنسا، على سبيل المثال. وهذا ما يضطرّنا، كمترجمات ومترجمين، إلى القيام بعمل ليس بالقليل، في بعض الأحيان، بموازاة عمل الترجمة نفسه، يتمثّل في إعادة الكتابة أو في إجراء أبحاث من أجل تقديم نص «قابل للتحرير» وفقاً لمعايير الترجمة في فرنسا.

■ نلاحظ أن الاهتمام يقتصر على ترجمة الأدب العربي وفق نظرة واهتمام معينين، ولا يشمل الفكر وبقية الإنتاج المعرفي العربي. كيف تنظرين إلى هذا الأمر وما السبيل لتجاوز هذه الحالة؟

مساحة عملي تنتمي، في الواقع، إلى هذه الهوامش الضيّقة التي تشيرون إليها. ذلك أنني قلّما أترجم أعمالاً أدبية، والسردي يرافق، في كثير من الأحيان، الكتابة التوثيقية ذات الأغراض العلميّة أو المعرفة. يخطر على بالي، هنا، العديد من النصوص (لصحافيين وأكاديميين من بلدان مختلفة) التي قمت بترجمتها، والتي أرى أنها تنتمي، في الوقت نفسه، إلى العمود الصحافي، والتأمّلات الحميمة، والتحليل الأنثروبولوجي أو السوسيولوجي، إلى العمل التاريخي أو حتى إلى المحاولة الفلسفية، من دون أن يكون ممكناً تصنيفها في أحد هذه المجالات وحده، بالمعنى الضيّق لكلّ واحدٍ من هذه المجالات.

■ هل هناك تعاون بينكِ وبين مؤسّسات في العالم العربي أو بين أفراد، وما شكل التعاون الذي تتطلعين إليه؟

أعمل بانتظام مع مؤسّسات حكومية وغير حكومية في العالم العربي، والتعاون فعّال ويتركّز عملي، بشكل أكبر بكثير، على العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ ولو أن الحدود بين هذين المجالين بعيدة كل البعد عن أن تكون ثابتة، خصوصاً في العالم العربي، حيث البُعد الحِسّي وجيّد بما يكفي. ثمة العديد من الشراكات القائمة، التي تميل إلى تعزيز الترجمات بين اللغتين، ولا يسعني إلّا أن أمل أن تستمرّ في التطوّر!

■ ما المزايا الأساسية للأدب العربي ولماذا من المهم أن يصل إلى العالم؟

ليس في استطاعتي الجزم في ما إذا كان ثمة خصوصيات للأدب العربي، مقارنة بالجغرافيات الأدبية الأخرى. لكن ما هو مؤكّد، بالنسبة إليّ، أن العالم العربي يعرف في السنوات الأخيرة عدداً هائلاً من الحراكات والمبادرات والنضالات الاجتماعية والسياسية، التي تمتاز بعزيمة كبيرة. بناءً على هذا، تصبح ترجمة النصوص السردية والشهادات والمخيالات التي ترافق هذه الحراكات، إثراءً معرفياً وحِسّياً كبيراً لـ«الإنسانية»، بالمعنى العميق للكلمة.

بطاقة

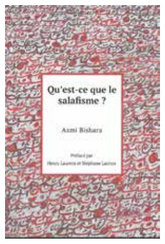

Marianne Babut من مواليد عام 1981. درست العلوم السياسية واللغة العربية، وتترجم العلوم الانسانية بشكل اساسي، الى جانب المسرح والقصص المصوّرة والاعمال الوثائقية. من ترجماتها: «بالخلاص يا شباب!» (2015K، بالاشتراك مع نتالي بونتان) لياسين الحاج صالح، و«حرير وحديد» (2017، بالاشتراك مع نتالي بونتان)، لفوّاز طرابلسي، و«ايمن: كتابة الحرب» (2018، جماعي)، و«في الاجابة عن سؤال: ما السلفية؟» لعزمي بشارة (2021).

ماريان بابو

قصة

لكنّها لا تعرف كثيراً عن الطيور

المفتاح

كنّا نلاعب الجنود من خلف الزّجاج، تطحن النّسوة العدس ويصنعن منه الخبز، يخرج رجل خلسة ليشتري قارورة غاز، ويكون محظوظًا لو عاد

وداد طه

«كنتُ أشعر أنّي معطوبة الرّوح، قبل أن أحرّر قلبي من الحزن. عندما تلاشى رفضي، سكنت روحي وعدتُ أبتسم حين أتذكّر كم أحببته. كيف فعلتُ ذلك؟ ليست هناك وصفة جاهزة. كلّ ما أعرفه أنّي أكلمك الآن وأنا حرّة من كلّ شيء: من ماضي النّساء المنطفئات والرّجال المفخّرين، من ختميّة المواقف والأحكام ونمطيّة اللازم، من خوفي أن أبقى وحدي ومن غضبي أنّي لم أكن كافية، ومن عجزي عن أن يحبّني رجلٌ أحببتُه، رجل اكتشفتُ أنّ فيه من أنوثتي أكثر منّي، رجل حمل في قلبه أرواح ملايين النّساء وسافر فيهنّ ثمّ عبر نحو قلبي كأنّه طيف».

ابتسمتُ وهي تقول تلك الكلمات من غير أن تنظر نحوي، نفثتْ دخان سيجارتها، كان الجوّ باردًا وأضواء الليل الخافتة فوق الجسر تزيد الليل غموضًا وعمقًا. لم أكن متأكّدًا من ردّ فعلها، لكنّي طوّقت كتفيها بذراعي فمالت بعد دقائق فوق صدري. غريبةٌ المصادفات التي تحصل في هذه الحياة، لو لم تكتشف هي ذلك الباب صدفةً، لبقيتُ في خيالي امرأةً من كلام قاله نادر، ولَمَا قدّر لنا أن نلتقي إلّا في كلامه عنها.

جلستُ على حافّة السّرير، رأسها كانَ فيه غمامة، تعيش بنصف وعي، تحيا الأحداث كأنّها صورٌ تغبّر، يختلط كلّ شيء بطريقة تجعل الاستسلام الحلّ الوحيد. لقد مات نادر وها هو قميصه، فارغًا من ذلك الجسد الرّقيق؛ لقد مات ولن يقف أمامها يسألها مزهوًّا إنْ كان يعجبها، لن يسابقها إلى حمل طفلهما ويبعده عن الخزانة ويؤنّبها: «لمَ تتركينَ الصّبيّ يدخلها؟ قد يختنق لو أطبقَ عليه الباب»؛ «لديك وساوس مبالغ فيها، عليك أن تراجع طبيبًا نفسيًا، حالتك خطرة»، مازحَته، علّمها نادر كيف تقلب المواقف المحرجة إلى نكتة، كيف تخفّف من جدّيّتها. كانت تشعر أحيانًا أنّها هي الرّجل في علاقتهما. قال لها يومًا وقد انتهمته بالسّخف: «يحتاج الأمر إلى حياة كاملة تو بي سيلي يا جميلتي». شعرتْ أنّه لا ينطق عن الهوى، أنّه يبوح بتجربة حيّة في جملة بسيطة، وأنّ روحًا مختلفة ورأسه، مختلفة في كلّ شيء وعن كلّ شيء..

لم يكن نادر كثير الكلام، فرغم أنّه كان عاشقًا للسّفر، إلّا أنّه كان يلوذ إلى عزلته كثيرًا، وكان ذلك يستفزّها ويشعرها بأنّها هامشيّة في حياته، حتّى أنّها قالت له في إحدى المشادّات: «لِمَ تزوّجتني إن كنتَ تعشق أنانيّتك؟ اخرج مفتاحًا فضّيًا محفور عليه حرفان: كاف ونون

لقد خدعتني، لم تكن كذلك قبل الزّواج»، «بلى، كنتُ وسابقي، وهذا لا يعني أنّي لا أحبّك». «أنت دائم الغياب عن البيت، إمّا مسافر أو في العمل، حتّى إننّا لم نعد نتمشّى. انظر، أترى، بتّ أطلب أبسط الأمور. هل تعي المسافة التي بيننا؟». قام من أمامها وتوجّه إلى غرفة النّوم، التقط أحد قمصانه الضّيقة وشورتًا ارتداهما وخرج، لكنّه لم ينس أن يبعث لها قبلة طائرة وهو أمام الباب. الذّكريات تتكدّس وتتلاحق حتّى تمحو الواقع وتحلّ مكانه، بل تغدو مآلاً للرّوح المتعبة. عاشت بعد موته في ذكراه.

أمام الخزانة فقط وجدت راحتها، تجلس أمامها ساعات، قد لا تنظر نحوها، وقد تطيل النّظر إلى مرآتها حتّى تختفي الخزانة تمامًا. اكتشفتْ أنّ تلك المرآة كانت محطّة يوميّة في علاقتها به، فعلا أمامها الكثير، وكان نادر يحرص على إبقائها مرتّبة، كما كان يحبّ شراء ثياب أنيقة، وينوّع من طريقة لبسه، فلا تجد في خزانته لونًا واحدًا أو شكلًا معيّنًا، لديه الكثير فيها من كلّ شيء: ساعات وبذلات، ربطات عنق وقبّعات، أحذية وأحزمة وقمصان وسراويل وعطور ومجموعات فاخرة من أدوات الحلاقة، بعضها لم يمسسه، كريمات للعناية ببشرته وعدّة لأظافره، غير أزرار الذّهب وخواتم الأحجار الكريمة التي يضعها في صندوق خشبيّ جلبه معه من الهند، مرصّع بأنياب عاجيّة، هدايا وأوسمة رياضيّة في السّباحة وركوب الخيل، نظّارات شمسيّة وأساور جلديّة مذهّبة، بينها واحدة أهدته إياها في عيد ميلاده الخمسين.

كعادتها تستعيد حياتها معه جالسةً أمام خزانته، لمع في بالها موقف، كانت تلاحقه بكلامها، تشكو بُعده عنها وصعوبة تحمّل مسؤوليّة طفلهما وحدها، تنظر إليه تستجدي نظرة تعيد لها الثّقة بالحبّ الذي جمعهما، كلمة تروي عطش قلبها إلى قلبه، لمسة أو حتّى نكتة يطلقها كما كان يفعل قبل أن يتعرّف إلى خليل. وقع منه مفتاح، وضعه في جيب سرواله وطبع قبلة فوق جبينها بصمته المعهود وخرج. ما كان ذلك المفتاح؟ قامت من فورها إلى الخزانة، لم تجده في جيب البذلة التي كان يرتديها، بحثتْ في صندوق مجوهراته فلم تجده كذلك، راحت تفرغ الزّفوف. شعورٌ جارف جعلها تريد ذلك المفتاح، دخل ابنها وهي تبحث، أخبرته أنّها حضّرت غداءه على طاولة المطبخ، رآها منشغلة فتدمّر وقال لها إنها أصبحت تتركه كما كان والده يتركها، توقّفت عن التفتيش، قالت مداعبة: «يا لي من أمّ حمقاء تترك صبيًا جميلًا مثلك».

(كاتبة من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«فضاء حميم 9» لـ رنا سمارة (2015، أكريليك على قماش، 170 × 290 سم)

معرض

بابلو بيكاسو نساء الجزائر وجدل التحرّر

هل سعى إلى تهديم النظرة الاستعمارية للشرق؟

أراد الفنان الإسباني (1881 - 1973) في سلسلته التي يعرضها حالياً «متحف بيرغروين» في برلين تقديم الجسد المتشظّي وسيطاً يعكس فكرة تحرّر الجزائريات

برلين ـ **العربي الجديد**

في عام 1962، رسم بابلو بيكاسو بورتريهاً للمناضلة الجزائرية جميلة بوباشا (1938) تصدّر غلاف كتاب يحمل اسمها شارك في تأليفه مجموعة من الكتاب الفرنسيين، سعياً لإبراز قضية بوباشا في الرأي العام الفرنسي، والتي كانت معتقلة في سجون الاستعمار حتى استقلال بلادها.

ارتبط اسم الفنّان الإسباني (1881 - 1973) بالثورة الجزائرية، ليس انطلاقاً من دعمه السياسي لحقّ الشعوب في التحرّر الوطني فحسب، بل لأنّ مقاومة الجزائريين شكّلت، بالنسبة إليه، كما يرى بعض النقّاد، هاجساً في ما يتعلّق بتحرير الفن نفسه من النظرة الاستعمارية. هذا ما تُبرزه سلسلة «نساء الجزائر» التي يقدّمها «متحف بيرغرويز» في برلين بمعرض يُفتتح بعد غد السبت، ويتواصل حتى الثامن من آب/ أغسطس المقبل.

في شتاء عام 1954، وعلى مدار ثلاثة أشهر متواصلة، أعاد بيكاسو دراسة لوحات الفنان الفرنسي أوجين دولاكروا لنساء جزائريات في مسكنهنّ، ليهدم منظور دولاكروا الإكزوتيكي تجاه العالم الإسلامي، من خلال سلسلة ضمّت خمس عشرة لوحة زيتية وأكثر من مئة رسم من التخطيطات والمطبوعات. ولكن الملاحظات القليلة التي تركها بيكاسو لا تزال تثير الجدل حول موقفٍ حاسم لديه من الاستشراق الذي مارسه تشكيليون أوروبيّون، إذ يبدو - في ملاحظاته التي تركها - كارهاً للممارسات الاستشراقية في الفن، كما تظهر بعض النساء الجزائريات في أعماله محاضرات بالعنف، وإظهار هذا العنف قد يُقرأ كموقفٍ نقديّ منه، لكن نقاداً آخرين رأوا أنه لم يتخلّص من الرؤية الاستعمارية تماماً. لم يز دولاكروا الجزائريات خارج الصورة النمطية في ذهنه عن المرأة كحيّز من الحريم الشرقي، بأزيائها التي تكشف عن مفاتن جسدية، وطبيعة حياتها التي لا تتجاوز حدود الاستلقاء والكسل وشرب النارجيلة، ضمن مناخات تبعث على الغرائبية والإثارة، لتُصدر الكاتبة الجزائرية أسيا جبار مجموعة قصصية عام 1980 تحمل عنوان إحدى لوحاته («نساء من الجزائر العاصمة في شقّتهنّ»)، وتناولت نصوصها أوضاع المرأة الجزائرية خلال الحرب.

ثم نشرت كتاباً آخر بعد نحو عقدين بعنوان «هذه الأصوات التي تحاصرني»، واحتوى مقالاتها حول عدد من الفنانين الذين شكّلت الجزائريات موضوعاً لأعمالهم، والتي يرافقها المنظّمون مع كتالوغ المعرض.

بالمقابل، يرى البعض أن بيكاسو عكس موقفاً ذا خلفيات فكرية وأيديولوجية يسارية مناوئة للاستعمار الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، خلافاً لدولاكروا الذي عاش في زمن آخر ومثّل العين الذي نظر من خلالها المستعمِر إلى شعوب العالم باعتبارها غير متحضّرة، بما يسوّغ فكرة استعبادها بحجّة «تحديث» مجتمعاتها.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من سلسلة «نساء الجزائر» المعروضة حالياً في «متحف بيرغرويز»

فعاليات

يتواصل في «متحف الفنون الجميلة» بالجزائر العاصمة، حتى الثامن والعشرين من الشهر الجاري، معرض **فنّ الخط العربي والمنمنمات والتذهيب**، بمشاركة ثمانية فنّانين جزائريّين هم: **محمد شريفي**، و**عبد القادر بومالة**، و**طاهر بوكروي**، و**علي كربوش**، و**محمد بوثليجة**، و**محمد بحري**، و**عبد الرزاق مزوان**، و**رضا جمعي**.

في «مسرح السرايا العربي» بمدينة يافا، يُعرَض، عند الخامسة والنصف من مساء الثلاثاء، 18 من الشهر الجاري، فيلم **200 متر** للمخرج **امين نايفة**. يروي العمل قصة عائلة فلسطينية فرّقها جدار الفصل العنصري الإسرائيلي؛ حيث يدخل احد الابناء مستشفىً لا يبعد سوى مئتي متر عن مكان والده، لكنّ الاخير يضطرّ للسفر في رحلة تمتد لمئتي كيلومتر من اجل الوصول اليه.

حتى السابع عشر من الشهر الجاري، يتواصل في «رواق محمد القاسمي» بمدينة فاس معرض الفنان المغربي العربي **تورال** تحت عنوان **قندوسيات** والذي افتتح في الثالث منه. يضمّ المعرض اربعين عملاً حروفياً تضيء الخطوط المغاربية، ومنها الخط الذي ابتكره الشيخ محمد بن القاسم القندوسي بداية القرن التاسع عشر.

عبر منصّة «زوم»، يُقام، عند السابعة والنصف من مساء الثلاثاء 18 الجاري، لقاء مع الكاتب السوري **هيثم حسين** حول روايته **قد لا يبقى احد**. يأتي اللقاء ضمن سلسلة «متن: حوارات حول الادب»، التي تستضيف فيها «اتجاهات - ثقافة مستقلّة» كتّاباً لمناقشة اعمال انتجوها ضمن برنامج «مختبر الفنون».